فاذا اطلع على المألوف مما لا يود منها فاجأه مفاجأة غير المألوف ، وهذا من أثر أنانيته التي تغالط نفسه مغالطات مختلفة ، فمرة تغالطه حتى يتوقع من أخلاق الناس الحسن النافع له ، ومرة تغالطه حتى يتوقع السيء الذي يتباهى بالخلو منه ، وقد لا يكون ذلك الحسن ولا ذلك السيء من خصال أو عادات الذين ينعتهم ، ولكنه يرجو النفع لنفسه في الحالين إما بتوقع الحسن منهم كي يستفيد ، وإما بتوقع السيء كي يعلو بمنزلة نفسه عنهم ، فليس كل بحث في النفس مصيباً ، فالناس في بحث النفوس كالعميان في القصة وقد تلمسوا الفيل من نواح وأطراف مختلفة ، فقال أحدهم وقد لمس ساقه إن الفيل كالدعامة المستديرة ؛ وقال آخر وقد لمس سنه إنه كالعصا الغليظة ؛ وقال ثالث وقد لمس أذنه إنه كالمروحة ؛ وأدى بهم الغيظ والغضب لما حسبوه حقاً إلى التقاتل كما يتقاتل الناس غضباً لما يحسبونه حقاً في الحياة . ولعل لذة المفاجأة المتجددة والتي تنفي الملل عن الانسان تعوضه من ألم الحسرة ، على أن الحياة والنفوس لا تأتي له بكل ما يرتضي ويشاء.

أعلام الاسلام

سَعِيد بن المسَيّب

بقلم السيد ناجي الطنطاوي

اسمه ونسبه ومولده

هو أبو محمد ، سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب القرشيّ المخزوميّ التابعيّ المدنيّ

وأبوه المسيّب وجده حزن صحابيان أسلما يوم فتح مكة . والمسيّب بفتح الياء وكسرها ، والفتح هو المشهور ، ومذهب أهل المدينة الكسر . وقد روي عنه أنه كان يقول بكسرها ويقول : سيّب الله من يسيّب أبي

وأمه أم سعيد بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلمي . وحدث سعيد بن المسيب أن جده حزناً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا حزن ، قال : بل أنت سهل . قال : يا رسول الله ؛ اسم سماني به أبواي فعرفت به في الناس . قال : فسكت عنه النبي عليه السلام . وكان سعيد بن المسيب يقول : ما زلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت

أما تاريخ ولادته فقد اختلف فيه المؤرخون ، وتنحصر رواياتهم بين سنة ١٣ هجرية (بعد استخلاف عمر بن الخطاب بسنتين) وسنة ٢١ هجرية (قبل موت عمر بسنتين) ، والمرجح أنه ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، أي سنة ١٣ هجرية لأن أكثر الروايات تؤيدها ويؤيدها قوله : ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب

واختلف المؤرخون أيضاً في ادراكه عمر ، فقد روى ابن سعد عن سعيد أنه قال : سمعت من عمر كلمة ما بقي أحد حي سمعها غيري : كان عمر حين رأى الكعبة قال : اللهم أنت السلام ومنك السلام

وعنه أيضاً أنه قال : سمعت عمر بن الخطاب على هذا المنبر يقول : عسى أن يكون بعدي أقوام يكذبون بالرجم . يقولون لا نجده في كتاب الله ، لولا أن أزيد في كتاب الله ما ليس فيه ، لكتبت أنه حق ، قد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجم أبو بكر ورجمت . أما بكير بن الأشج فيروى أن سعيد بن المسيب سئل هل أدركت عمر فقال ؟ لا

ويقول الامام مالك : لم يدرك عمر ، ولكن لما كبر أكب على المسألة عن شأنه وأمره . ويقول ابن معين : رأى سعيد عمر وكان صغيراً ابن ثماني سنين ، وهل يحفظ ابن ثماني سنين شيئاً ؟

شيوخه وتلاميذه

أخذ سعيد بن المسيّب علمه عن أبي هريرة ـ وكان زوج ابنته ـ وجل روايته المسندة عنه . وسمع من عمر وعثمان وعلي . وسمع من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : عائشة وأم سلمة . وكان يقال : ابن المسيّب راوية عمر ، قال الليث : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، وروى عن أبي ذر ، وحكيم بن حزام ،

وحكيم بن حزام ، ومعاوية ، وسعد بن وقاص ، وخولة بنت حكيم ، وغيرهم

وروى عنه جماعة من أعلام التابعين منهم عمر بن عبد العزيز ومحمد بن شهاب الزهرى ، وعمرو بن دينار ، وقتادة ، وابنه محمد ، وأبو الزناد ، وعطاء بن أبى رباح ، ومحمد الباقر ، ويحى بن سعيد الأنصارى ، وغيرهم كثير

علمه وأقوال العلماء فيه

قال سعيد : ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر منى . (قال الراوى ابراهيم ابن سعد عن أبيه) وأحسبه قال وعثمان ومعاوية

وقال يزيد بن مالك : كنت عند سعيد فحدثنى بحديث فقلت له : من حدثك بهذا ؟ فقال يا أخا أهل الشام خذ ولا تسأل فانا لا نأخذ إلا عن الثقات

وقال مالك : بلغنى أن سعيد بن المسيّب قال : إن كنت لأسير الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد

وقال قدامة بن موسى الجمحى : كان سعيد بن المسيّب يفتى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه أحياء.

وقالوا : كان سعيد جامعاً ، ثقة ، كثير الحديث ، ثبتاً ، فقيهاً ، مفتياً ، مأموناً ، ورعاً ، عالياً ، رفيعاً

وقال محمد بن يحيى بن حبّان : كان رأس من بالمدينة فى دهره ، المقدّم عليهم فى الفتوى سعيد بن المسيّب ، وكان يقال : هو فقيه الفقهاء

وقال مكحول : سعيد بن المسيّب عالم العلماء . وقال أيضاً : ما حدثتكم به فهو عن سعيد بن المسيب والشّعبى

وعن ابن أبى الحويرث أنه شهد محمد بن جبير يستفتى سعيد ابن المسيّب

وقال علىّ بن الحسين : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفقههم فى زمانه

وقال ميمون بن مهران : أتيت المدينة فسألت عن أفقه أهلها فدفعت الى سعيد بن المسيّب فسألته

وقال شهاب بن عبّاد : حججت ، فأتينا المدينة فسألنا عن أعلم أهلها ، فقالوا سعيد بن المسيّب

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشىء يشكل عليه قال : سلوا سعيد بن المسيّب فانه قد جالس الصالحين

وقال يحيى بن سعيد : أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم سعيد ورأيه شيئاً كثيراً

وقال قتادة : ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه ، وقال أبو حاتم : هو أثبت التابعين فى أبى هريرة

وقال الزهرى : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبى بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام

وقال القاسم بن محمد : هو سيدنا وأعلمنا ، وقال ابن عمر : هو والله أحد المتقنين ، وقال ابن شهاب : قال لى عبد الله بن ثعلبة ابن أبى صعيران : كنت تريد هذا ، يعنى الفقه ، فعليك بهذا الشيخ سعيد بن المسيب

وقال مكحول : طفت الأرض كلها فى طلب العلم ، فما لقيت أعلم منه . وقال سليمان بن موسى : كان أفقه التابعين

وقال يحيى بن معين : مرسلات بن المسيّب أحب إلىّ من مرسلات الحسن

وقال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل : سعيد بن المسيب ؟ فقال : ومن مثل سعيد ؟ ثقة من أهل الخير . فقلت له : سعيد عن عمر حجة ؟ قال : هو عندنا حجة ، قد رأى عمر وسمع منه ، وإذا لم يقبل سعيد عن عمر ، فمن يقبل ؟

وقال أحمد : مرسلات سعيد صحاح ، لا نرى أصح من مرسلاته

وقال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً من سعيد ابن المسيب

قال : وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به ، قال : هو عندى أجل التابعين

وقال الشافعى : إرسال بن المسيب عندنا حسن

وقال مالك : بلغنى أن عبد الله بن عمر ، كان يرسل إلى ابن المسيب ، يسأله عن بعض شأن عمر وأمره

وقال قتادة : كان الحسن إذا أشكل عليه شىء كتب إلى سعيد بن المسيب

وقال العجلى : كان رجلاً صالحاً فقيهاً

وقال أبو زرعة : مدنى قرشى ثقة إمام

وقال ابن حبان فى الثقات : كان من سادات التابعين فقهاً وديناً وورعاً وعبادة وفضلاً ، وكان أفقه أهل الحجاز

وقال الجاحظ : كان أبو بكر رضى الله عنه أنسب هذه الأمة ، ثم عمر ، ثم جبير بن مطعم ، ثم سعيد بن المسيب ، ثم محمد بن سعيد ابن المسيب

منزلته عند الخلفاء والولاة

قال مالك بن أنس : كان عمر بن عبد العزيز لا يقضى بقضاء حتى يسأل سعيد بن المسيب ، فأرسل إليه إنساناً يسأله ، فدعاه فجاء ، فقال عمر : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك

وقال أيضاً : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما كان بالمدينة عالم إلا يأتينى بعلمه . وأوتى بما عند سعيد بن المسيب

تعبيره الرؤيا

قال محمد بن عمر : كان سعيد بن المسيّب من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ ذلك عن أسماء بنت أبى بكر ، وأخذت أسماء عن أبيها

وقال عمر بن حبيب بن قليع : كنت جالساً عند سعيد ابن المسيّب يوماً ، وقد ضاقت علىّ الأشياء ورهقنى دين ، فجلست إلى ابن المسيّب ما أدرى أين أذهب ، فجاءه رجل فقال : يا أبا محمد إنى رأيت رؤيا . قال ما هى ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان ، فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد . قال : ما أنت رأيتها . قال : بلى أنا رأيتها . قال : لا أخبرك أو تخبرنى . قال : ابن الزبير رآها وهو بعثنى اليك . قال : لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى عبدالملك بن مروان بالشام فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب فسرّه ، وسألنى عن سعيد وعن حاله فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى وأصبت منه خيرا

وقال رجل : رأيت كأنّ عبد الملك بن مروان يبول فى قبلة مسجد النبى أربع مرار ، فذكرت ذلك لسعيد بن المسيب ، فقال : إن صدقت رؤياك قام من صلبه أربعة خلفاء

وقال شريك بن أبى نمر : قلت لابن المسيب رأيت فى النوم كأن أسنانى سقطت فى يدى ثم دفنتها . فقال ابن المسيب : إن صدقت رؤياك ، دفنت أسنانك من أهل بيتك

وقال رجل لابن المسيب : إننى أرانى أبول فى يدى . فقال اتق الله ، فان تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة بينها وبينه رضاع

وجاءه آخر فقال : يا أبا محمد إنى أرى كأنى أبول فى أصل زيتونة . قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فنظر فاذا امرأة لا يحل له نكاحها

وقال له رجل : إنى رأيت حمامة وقعت على المنارة ، منارة المسجد ، فقال : اذبح اذبح . فقال : ذبحت . قال : مات ابن أمّ صلاء ، فما برح حتى جاءه الخبر أنه قد مات

وقال رجل من فهم لابن المسيب إنه يرى فى النوم كأنه يخوض النار ، فقال : إن صدقت رؤياك لا تموت حتى تركب البحر ، وتموت قتلاً . فركب البحر فأشفى على الهلكة ، وقتل يوم قُدَيد بالسيف

وقال الحصين بن عبيد الله بن نوفل : طلبت الولد فلم يولد لى ، فقلت لابن المسيب : إنى أرى أنه طرح فى حجرى بيض . فقال ابن المسيب : الدجاج أعجمى ، فاطلب سبياً إلى العجم . قال : فتسرّيت فولد لى ، وكان لا يولد لى

وكان سعيد بن المسيب يقول للرجل إذا رأى الرؤيا وقصها عليه : خيراً رأيت . وقال ابن المسيب : التمر فى النوم رزق على كل حال ، والرُّطب فى زمانه رزق

وقال أيضاً : آخر الرؤيا أربعون سنة ، يعنى فى تأويلها

وقال أيضاً : الكبل[1] فى النوم ثبات فى الدين

وقال له رجل : يا أبا محمد ، إنى رأيت كأنى جالس فى الظلّ فقمت إلى الشمس . فقال ابن المسيب : والله لئن صدقت رؤياك لتخرجنّ من الاسلام . فقال : يا أبا محمد ، إنى أرانى أخرجت حتى أدخلت الشمس فغسلت[2] ، فقال : تكره على الكفر . قال : فخرج فى زمان عبد الملك بن مروان فأمر فأكره على الكفر ، ثم قدم المدينة ، وكان يخبر بهذا

(يتبع) نامى الطنطاوى

---

(١) الكبل هو القيد الضخم

(٢) غسل الشىء رذل وردئ والمغسول الرذول